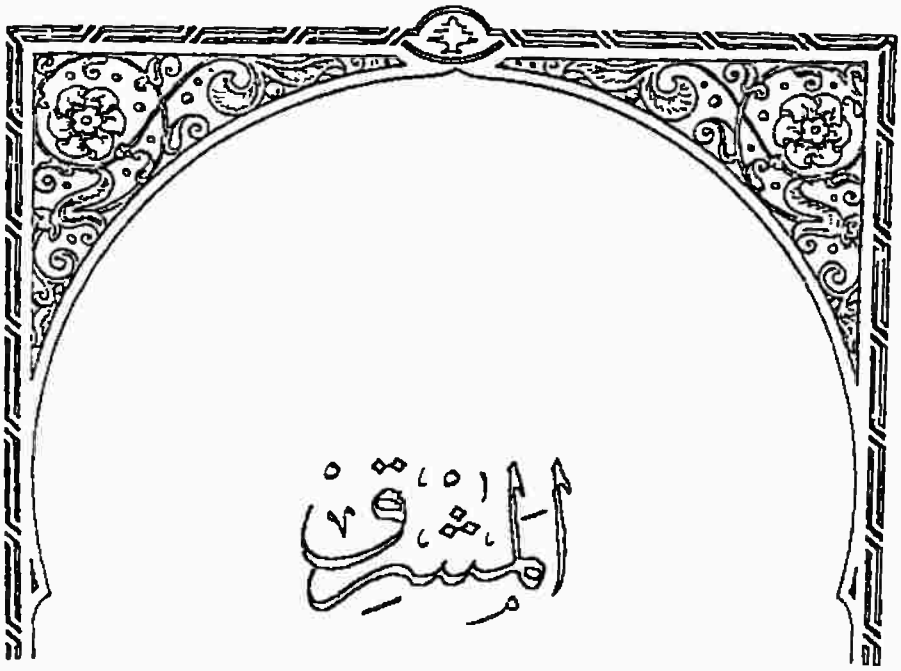

السنة الثانية كانون الثاني – شباط ١٩٦٦

الشاعر نقولا فياض

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

الدكتور نقولا فياض اللبناني قد اشتهر في ميدان الشعر ، مثل اخيه المرحوم الياس ، سنة ١٩٥٠ صدر في بيروت ديوانه « رفيف الاقحوان » . في هـذه المقالة نضرب صفحاً عن القصائد المنظومة في شرخ شبابه . وعن التي عرّبها بتصرف عن الفرنسية والالمانية .

لم نجد في ديوانه قصيدة على فلسفة الحياة ، بيد ان له بضعة ابيات يُستشف منه جهله او تجاهله لغاية حياتنا القصوى السامية . واستخفافه بالدين وادعائه انه يقيد العقل ، بل يستعبده . هاكم بعض ما نظمه لابداء تلك الآراء الفاتلة :

ما قصدُ ربك بالوجود ، وقد غدا كل امرئ بضلاله يتمادى ؟

ان الحياة جنايةٌ ، افما كفى حتى اردت خلودها ، يا جانِ ؟

قال عن الجامعة الاميريكية البروتستانية في الاسكندرية :

انت رُمت العقل حرًّا مطلقاً ؛ لم يقيّـــد بقيود المذهب .

يقول عن نفوس الموتى للارض :

ارواح من نبكي بعثتِ رسومهـــا في الزهر ضاحكةً وفي الاغصانِ .

فلا بدع بكونه متشائماً ، لا يرى في حياته الارضية سوى غيوم شكوكها وظلمات احزانها وبلاياها . اول قصيدة غير معربة في ديوانه ، عنوانها « يأس » ؛ اليكم بعض ابياتها الملأى قنوطاً :

لم ابلغ العشرين بعد . وهمتي ملّت بميدان الحياة جهادا !...
كم قامة كان الربيع لها حلى . فمضى وصار لها الخريف حدادا !
لم تجن منك يداي يوماً وردة إلا استحالت بالشقاء قتادا !
نارٌ يجددها الرجاء باصلعي . فيعيدها اليأس الجديد رمادا !

له قصيدة طويلة في تعظيم نبي المسلمين ؛ دونكم شيئاً منها :

نبيَّ العُرب ، الهمني بيانا ، على عجزي اهز به الزمانا ،
وأرفـــع للنفوس لواء حق ، وأبسطه على الدنيا امانـــا ؛
واجعـــل في حنايا كل صدر لمولـــدك المبـــارك مهرجانا ...
ومن مهـــد قُريشيّ عديم تعـــالى النور فاكتسح الزمانا !
فيا لك مولداً حفتـــه دنيا ليأخذ بالهدى الدنيا احتضانا !...
واعطـــاهم على الاسلام ديناً يوزع في الورى الشيَم الحسانا !
فيا دنيا ؛ استعزّي ، ان فجراً جديداً للمكارم فيك بانا !

يقول انه يتوق كل التوق الى رفع لواء حقيقة الاسلام وبسطه على العالم اجمع ؛ فلماذا لم يرفعه ويبسطه على ذاته ؟ يؤكد ان النور قد تعالى من مهد محمد « ليأخذ بالهدى الدنيا احتضانا » ؛ فلماذا لم يستنر بذلك الضياء الباهر ، ولم يسر في صراط الهدى ؟

له عدة قصائد جميلة يُبدي فيها آراءً سديدة على الحياة وبعض شؤون المجتمع الكبرى . هاكم ابياته الرائعة على سر الحياة ، وهي تكذيب صريح لما باح لنا به عن يأسه المضّي :

قالوا «لقد شاخ الزمان» ، وما دروا ان الحياة جديدة لا تهرمُ ؛
وهي الغنية ، مـــا شكا من فقرها الا فقير القلب ، يعوزه الدم .

يـا هادم الآمال : ماذا تبتغي ... بنيانه بدلاً بها . اذ تُهدم ؟
اليأس مجلبة الخمول : فلا تقُـل ... « عمرٌ يزول » . اذا عداك المغنم .
ما القبر غاية كل حيّ مثلما ... زعموا . فللانسان غايٌ اعظم :
ان يملأ الأيام من اعماله . ... فتظل بعد سكوته تتكلم ! ...
لو يعلم الانسان مـا يستطيعه ... بالحب . لم يك في البرية مجرم .
الحب اعذب ما يقال ويُشتهى ... والذ مـا نظم الزمان وينظم :
فتسكنوا بصلاتـه وترنموا ... بصلاتـه . وانا السعيد وانتم !

في « الشاعر والموميا » قد ابدع بايضاحه ان كنه الحياة ليس في الجمود ، بل في التطور والتكامل . تقول الموميا للشاعر الذي حسدها على نومها الطويل الهنيء :

بل ليتهم طرحوا رُفـاتي في الفلا ... لوحوشهـا نهباً وللعقبـان .
فاعود للكون الذي فـارقته : ... ويجدد الدهر الجديد كياني :
تلك الحياة . وليس مـا ضمّختمُ ... جسدي به وكحلتمُ اجفاني ! ..
كلٌ يناديني : فتخفق اضلعي ... لصداه تحت لفائف الكتان :
« قومي . فقد دعت العناصر . والبسي ... حُلل الطبيعة وامرحي بأمان :
« نحتلّ من جسم الوجود صميمه : ... ونشارك الافلاك في الدوران :
« قومي : لعلك زهرة البستان او ... روح تحرك زهرة البستـان :
« ولربما اتخذت محـاجرُ كاعب ... منك الفتور لمحظها الوسنان . »

« سخرة في الحياة » وصف مبتكر رائع للقتال الشديد المتواصل بين نفسنا التوّاقة الى ذرى الفضائل وجسمنا الميال الى اسفل الدنايا ؛ حاكم باقة من اجمل ابياته :

يا لعُمر مشيا فيه معا :

جسدي النازل من شهوتـه ... سُلّم العار ، وروحي الساميهْ !

يا لعمر مشيا فيه معا !

مشيـا : كلٌ الى غايتـه ... مثـل خصمين ، ولم يختصما :
فهو لا يشبع من لذتـه ، ... وهي لا تعرف الا الالمـا :

يا لعمر مشيا فيه معا !

المعاصي من نصيب الاول ، ... وكفاف الزهد حظ الثانيه ...
اذ يكن في سيره ضـل السبيلْ ، ... ورماه الطيش في ليل عنيفْ ،

فهي لم تبرح مع الأفق الجميل ، تسحب النور على ذيل عفيف ؛
يا لعمر مشيا فيه معا !
رفعتْه فهوى ، قومتــه فالتوى ،
ضاع منها في اعاصير الهوى !
فاذا مــا حملتْ معه ذنوبهْ ، فهي لم تبرح من الله قريبــهْ ؛
ولقد مات غريباً مثلما عاشت غريبه ،
جــدي النازل من شهوتــه سُلم العار وروحي الساميهْ !

اجاد كل الاجادة في تعظيم المرأة وبيان كونها ، مع الرجل ، القطبين اللذين يدور المجتمع حول محورهما :

اجثو عــلى أقدام جنسك ذاكراً امي ، فلولا الام مجدك بادا !
وأُجل فيك رفيقــة العمر التي تحْيي العيال وتمحض الاولادا ،
واكرّم الاخت التي بحنانهــا تُنسي السقيم الطب والعُوادا !
ضل الذي ظن الحياة جميلــة في البعد عنك ؛ ومن يطيق بعادا ؟
الكون شعرٌ ، انت بيت قصيده ؛ لولاك ما عرف الورى انشادا !

لله درّه حين صرّح بأن جمال المرأة الاسمى ليس في محاسن جسدها يسطوع حُلاها ، بل في حصافة عقلها ونُبل قلبها وطهارة اخلاقها :

دعني من الجيــد والمعصم ولحظ سلمتِ : فلم ترحمي ؛
ولا تذكري لي رماح القدود وورد الخــدود ودُر الفم .
هو الحُسن في العقل قبل المحيّا ، فحلّي حديثك ثم ابسمي ؛
ومن خُلُق نــاعم فالبسي حريرًا على الجسد الانعم .
ولا تأمني نُضرةً في الخدود ، اذا هي للقلب لم تنتم ؛
وحسْبك ، يا هند ، روحٌ ترفّ من الطهر في ثوبهــا المُعْلم !

توخى الابتكار في وصف فظائع الحرب واهوالها ، فجعله بجسارة مستحسنة على لسان الارض ، وهي تسرده لسكانها المتباغضين المتوحشين :

ما لنجوى الاسلاك[1] لا تستفز اليوم اصداؤها سوى آلامي ،
ولخطّ الحديد ، ارجف من قضبانه ، وهي اضلعي وعظامي ؟

١) يعني الشاعر اسلاك التلغراف والتلفون

والجواري ، من الضفاف اليها نظراتٌ ليست حديث هيام ؛
وعلى الطائرات الف سلام يوم كانت لراحتي وسلامي !
رُسُل الشعر والدمار ، وقبلاً حملت ثروتي وصانت حطامي !
الى هذه المخازي انتهيتم بعد نهك العقول والاجسام ،
وعصور من ظلمة وشقاء وخنوع وثورة وانتقام !
بئس عمرانكم وحكمة جيل افسدته سياسة الحكام !

يدّعي نقولا انه لا يحب النساء سوى حب روحي محض :

قالت : « اود بان يكون هواك لي حباً تنزه عن عيوب الناس ؛
« يسمو بنا نحو السماء ، فلا نرى في كأسنا الا صفاء الكأس ؛
« ونعيش بالروحين يجمع بيننا ادب الحياة ورقة الاحساس .
« وتكون لذتنا التي لا تنتهي خمر الحديث يطيب في الأنفاس.»..
فأجبتها : « اوليس هذا مذهبي في الحب ، تعرفني به جُلاسي .
« تتحطم الشهوات عند ارادتي ، وتمر مثل سحابة في راسي ؟ »

بيد انه يكذّب ذلك الادعاء تكذيباً صريحاً في « زيارة من غير موعد » ، حيث يصف لنا الحب الجنسي قارعاً باب داره ، فقصد الشاعر ان يصرفه قائلاً :

عبثاً تطلب الدخول ؛ فنفسي ، ايها الحب ، قد سلمتك طويلا ،
نسيتْ عادة الصبابة والشكوى وذكر العهود والتقبيلا ...

فألان الحب قلب نقولا بالبكاء والاستعطاف ، وما لبث الشاعر ان فتح له بابه ، بل اجلسه على عرش فؤاده ؛ فقال عن استعباد الحب له :

قُضي الأمر بيننا ، وبداري اصبح الحب حاكماً ما شاء !

القصائد الغزلية البحتة قليلة في ديوانه ؛ غير ان لمحتها الملتهبة دليل واضح على شغفه ببنات حواء ؛ هاكم شيئاً من وصفه لسحر عيونهن :

يا للعيون وما يحركه بها من كامن الأسرار جفنٌ فاترُ !
خُلقت سبيلاً للضلالة والهدى ، لم ينج منها مؤمن او كافر !
فيها معانٍ للخمور وللطيور وللزهور ، وللبحور مناظر ...

الموت فيهـا والحياة تلاقيا : الموت سرٌّ ، والحياة الظاهر .
في دقة التركيب اضعف كائن انسانهـا ؛ وهو الاله القادر !

قد سمعتم تأليبه لعيون معشوقاته . في « لبنان بعد الحرب » يصف لنـا مغازلته لاحداهن : معترفاً بان حسنها الفتان قد اسكر حواسه ؛ فاسكت صوت احتجاج ضميره :

كان لي عهـد على تلك الصخورْ من مطلّ السفح للوادي الخصيبْ :
ارشف الكوثر من ثغر طهور : واناجي الله في لحظ الحبيب ؛
والخلودُ في ورودْ خده الفتانْ ! ...
خلوةٌ اغنى بها شعري الخيالْ عن معاني الزهد في شعر الضريرْ[1] .
وحبيبي نـاشر بـرد الجمال حاجزاً ما بين قلبي والضمير ،
فتراني في افتناني صاحياً سكران !

يقول لمعشوقة اخرى ، في قصيدة قد اطلق بعض ابياتها من قيود الوزن . كما اطلق شهوته من قيود العفاف :

ان اكن احببت حباً خـالياً ؛ فلقـد احببت فـاكِ ؛
ان اكن احببت حباً مؤلمـاً ؛ فهُمـا مقلتاكِ !
ان اكن احببت حباً لا يطاقْ ؛ فهو ذاك الخصر مشدود النطاقْ ؛
وهو ذاك الجيد والنهد الرشيقْ ! ان اكن احببت حباً لا أفيقْ
منه ؛ فهو الجسدُ ناعمٌ يتقـدُ !
قـد تمتعت طـويلاً بجمالكْ ،
وشفت نفسي غليلاً من وصالك ،
وانا اطلب ذا اليوم وصولا لخيالك ...

لعمري ، ما ابعد ذلك اخوى الشهواني المضطرم عن الحب الروحي العُذري الذي ادّعاه نقولا في قصيدته « قالت » !

قلما يعالج المواضيع الوصفية المحضة ؛ غير انه يجيد النظم فيها . هكذا يصف « الاعمى الجائع » :

---

١) قد عنى نقولا بالضرير الشاعر المشهور ابا العلاء المعرّي .

الفجر حول سريره يتبسمُ ؛ والفجر في عينيه ليل مظلمُ ؛
تمشي اشعته على اهدابه ؛ فيردّهـا عنه ستـار مُحكم...
ذهب القضاء بنجمتيه ؛ فما الذي ترجي اليه شمـه والانجم ؟
هذا هو الاعمى ، وحسْب فؤاده جوعاً ، فكيف به اذا جاع الفم ؟

هاكم وصفه للخدم الجليلة التي قامت بها نساء روسية بنشاط عجيب في الحرب العالمية الثانية ؛ يخاطب احداهن قائلاً :

جسمك الغض يحمل الزاد ليلاً ؛ ومزار الاحباب ناءٍ طويلُ .
وجريحٌ على اللظى يتلوى ؛ مر دهر ، ولم يُبلّ عليل ؛
فاض منك الحنان برداً عليه وسلاماً ، رواقه مستطيل !
تنجدين الأنصار خلف الأعادي ؛ الهدى انت ، ان يضل الدليل ؛
وتقيمين في المصانع ، يرعى آلة الحرب زندك المصقول .
اعوز الارضَ ساعدٌ يجتليهـا ؛ واستغاثت حزونهـا والسهول ؛
فهززت المحراث يدنّي جناها ، واطمأنت مزارعٌ وحقـول .

قد صوّر لنا نجوم الليل وما اخفته من اسرار غامضة ، تصويراً ممتازاً بالابتكار والطبيعية ، في الابيات التالية :

مـا نجوم الليل الا مُقـل ترنو الينـا ،
مُقل الاموات ممـن ذكرهم غـال علينـا !
فاذا ما الشمس غابت والدجى غمر الارض اماناً وحنانا ،
اقبلت من عالم الغيب علينا لترانـا .
يانجوم الليل ، من تلك الثقوبْ ارسلي النور الى قلبي الكئيبْ :
واغمري بالوحي روحي ، علّها ترتوي من ظمإ فيها غريب...
وليكن ، يا ليل ، في صمتك لي صيحة تنفذ اعماق القلوب :
ابعثُ الشعر بها بين الملا ، ينشر الحب ويحيي الاملا ،
ويظل الليل ستّار العيوب !

لا مراء في ان نوع الشعر الذي يميل اليه اشد الميل ، هو الغنائي ، وله مهارة غريبة في اقتباس مواده المتنوعة من مصادر عديدة ، نذكر منها محاسن الطبيعة ، سحر الفنون الجميلة ، الحوادث الجُلى المفرحة والمحزنة . هاكم شيئاً من مناجاته لظلمات الليل :

تهدات الورى ، ما تصنعين بها ؟ قولي، وهل تحفظين السر ادخارا ؟
وما تقول لك الاحلام طـائرةً من الجفون : اذا طيف الكرى طارا ؟..
يا ليل : يا ليل ، كم ناداك من طرب صوت المغني ، فما حركت اوتارا !
ان كنت للراحة الكبرى خُلقت ، فكم ارحت عيناً وكم اتعبت افكارا !...
تزحزحي : يا غيوم الأفق وانقشعي ، وارسلي ، يا عيون الافق انوارا :
بل فاحملي على اشباه اجنحة ؛ حتى ارى غير دار البؤس لي دارا :
اودّع القطعةَ اللحمَ التي اسرتْ روحي ، وأصبح في الآفاق سيّارا :
فلا أرى الدم فوق الأرض مندفقاً ، والبغض يضرم فيها النار والعارا !

قد عبّر هكذا عن شدة افتتانه بعزف صبيّة على البيانو :

ليس البيانو الذي باتت تكهربه يداك ، اطوع من قلبي وافكاري :
لمسته فتنشى السحر بي ؛ فكما تهتز اوتاره ، تهتز اوتاري !
اصابع العاج حذي تلعبين بها ، ام تلعبين باسماع وابصار؟...
اثرتِ فيّ من الاشجان كامنها ، فبتُّ اسهر ليلي حول تذكار :
كزهرة القفر في الظلماء ، ليس لها من مؤنس غير نور الكوكب الساري.

قد ترنم ترنم الفرح والاعجاب بانتصار اليونانيين على الالمان الغُزاة ، في الحرب العالمية الثانية ؛ وقارن ذلك الظفر الباهر بالذي احرزوه حين انتهك الرومان القدماء حرمة وطنهم :

إيه ؛ يا موطن الغطارفة الاغريق ، زدني جوى وزدني حنينا !
لست انسى عدوان روما وطاغيها ، وكيف استباح العرينا ؛
فرأى ما أشاب منه النواصي ، واثـار الاعجاب في العالمينا !
ثم جاء النازي يصبّ عليك النار طيرًا ودارعاً وسفينا ،
ويدين الاحرار ، حتى اذا مـا ازفتْ ساعة انتقامك ، دينا ؛
فخبـا نجمه وضل هداه : وحبتك الاقدار نصرًا مُبينـا !

رثاؤه لاخيه الياس آخذ بمجامع القلوب ، ولا سيما وصفه لتباريح المرض الاخير الذي عالجه فيه :

ابدًا اراك على فراشك صابرًا ، ويكاد يعصيك اللسان الطيّع ...
ابدًا اراك ، وانت تنظر لي ، وفي نظراتك النبأ الذي لا يخدع !

وتبيت تسألني ؛ ونبضك هارب من انملي ، هل في شغافك مطمع ؛
وارى دبيب الموت فيك ، فأنحني متبسماً ، وحشاشتي تتقطع !
ابداً اراك ، ويا لها من رؤية ! نزل القضاء وكان ما اتوقع ؛
قد أطبقت منك الجفون ، وعُطّل القلب الحنون ، وغاض ذاك المنبع !

لقد ابدع ايضاً في رثائه لفرنكلين روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة ، الذي انتقل الى جوار مولاه سنة ١٩٤٥ ، قبل ختام الحرب العالمية الثانية ، وقد اراد ان تخوض بلاده غمارها بجانب فرنسة وحلفائها ، لانتصار الحق والعدل على القوة المادية الطاغية :

في كل ارض يوم نعيك مأتمٌ ، يبكي الشقيّ عليك والمتنعمُ !
ما كان ضرك لو صبرت هنيهةً ليكون عيد النصر عيدك معهم ؛
فقدوا ابتسامتك التي كانت لهم نوراً ، اذا عبس الزمان المظلم !
اسست للاجيال بعدك عالماً : واردته لا دمع فيه ولا دم ! ..
نبّهت للجُلّى عزائم امة كانت تنام على الحرير وتنعم ،
ونفخت روحك في البلاد جميعها ، فاذا البلاد مدافعٌ تتكلم !

قد هزّت وطنيته المضطرمة مراراً عديدة اوتار عوده الشعري ، فاخرجت منها الحاناً بديعة . هاكم صدى لوعته المضنية على الاقواء والدمار الحائلين ، اللذين شاهدهما في وطنه ، بعدما هلكت ربوات من اهاليه جوعاً في الحرب العالمية الاولى :

زرتُ ذيالك الحمى بعد الغيابْ ، وانا ارجو شفاء العللِ ؛
لم اجد فيه لتذكار الشباب اثراً يحيي دفين الاملِ ،
والحدادْ في البلادْ يبعث الاشجانْ !

وقف حصة كبيرة من شعره الوطني على اصلاح المجتمع اللبناني ، وعلى الاخص باستقباح الطائفية الحائلة كل الحيلولة دون اتحاد النصارى والمسلمين والدروز والعلويين :

وطني يهدّمه الشقاء ، ولا ارى كفاً تطيح بمعول الهدّام ؛
الطائفية قطّعت اوصاله ، وسياسة الاحزاب والارحام .
نفخ التعصبَ فيه اسوأ نافخ ، ورماه بالتفريق ابشع رام ،
وكوارث الحدثان لم تترك له من جسمه الجبار غير عظام !

قد نادى مرارًا بضرورة استئصال الرذائل التي تفاقم انتشارها في وطنه العزيز ـ منذ اوائل هذا القرن المادي : العابد للمال والملذات :

ما لاخلاقنا تزيد فسادًا ... كلما زاد بيننا التأثيلُ ؟...
نكبة الشرق انا لا نضحّي ... ابدًا ، والكرام فينا قليل :
نكبة الشرق ان فينا خنوعًا ... فنحابي من اجله ونميل .
يسرق الجائع الرغيف . فيُمنى ... بضروب التشهير ، وهو ذليل :
والذي يسرق الالوف عزيز . ... وله دون غيره التبجيل !

وعواهراتٌ تُشترى في سوقهن ... وتباع بالسلع العجاف صمائر .
ونفوذ دين او نفوذ زعامة . ... واحكم بينهما صعيف حائر .
والعلم والادب الرفيع مسخّر ... للمال . وهو بما يسخر ساخر .
واشد من هذا وذا حزبيّة . ... في كل منطقة عليها ساهر .
يرعى دسائسها ، فان هي اخفقت ... فمدامعٌ خلفها وحناجر !
هاتوا المعاول ، يا شباب ، وهدّموا ... ان كان للآتي يشيد الحاضر !

يجيد اشعال لهيب الوطنية الصادقة في قلوب اهل جبل الارز ، بتذكيرهم مآثر كثير من اعيان مواطنيهم الشهداء ، الذين قتلهم الحكام الاتراك بمجرد هيامهم بلبنان وسعيهم وراء استقلاله :

اولا تسمعون شبه حفيف ... من وراء القبور ، وهو نداءٌ :
« ايها العائشون . نحن سكبنا ... من دمانا لتستفيق دماء !
« ايها العائشون . نحن وضعنا ... أسّاً للعلى ، فاين البناء ؟...
« نحن كنا للحق نعمَ الضحايا ، ... افكنتم للحق نعم الوقاء ؟
« ليس من مات فاستراح بميتٍ ، ... انما الميّت زمرةٌ اشقياء ! »

قد ابدى براعته في معالجة الشعر الرمزي ، الذي تمثله في ديوانه قصيدة واحدة طويلة « البتفسجة » :

هي زهرة بجوار ساقيةٍ ... نبتت وعاشت عيشة الطهر :
لم تدر غير العشب متكأ ، ... وسوى عناق الماء لم تدر .

سئمت من عيشها المستترة الوضيعة ، فتاقت الى الجولان ، وحثها الكبرياء على الارتقاء الى ذروة جبل شامخ ، فذاقت من احوال وعورة العقبات وثورة

العواصف ما ذاقته ، وحين وصلت الى القمة ، ماتت من لغوبها وخيبة آمالها .

مكينةٌ قد غرها طمع هو كالسراب لكل مغترٍّ ؛
ظنت بان لها العلاء غنى : فاذا بـه فقرٌ على فقر !
ما كان اغناها واسعدها لو لم تفارق ضفة النهر !

قد ابدينا في الصفحات السابقة رأينا في اهم انواع الشعر التي عالجها نقولا ، وذكرنا عليها امثلة عديدة تمكّن القراء من تحقق صحة نقدنا . اما الآن فنعبّر عن رأينا في محاسن انشائه وشوائبه .

لغته غير كاملة العروبة : لا تندر فيها الاخطاء . منها استعمال كلمات بمعناها اللبناني العامي : كالقهر (الحزن) والدفّة (السُكّان) ، والنبع (الينبوع) . الحركات المطبوعة كثيرة الاخطاء : علَيهم (عليهم) : جُماد (جَماد) ، حِرمة الصدق (حُرمته) : سُتَيدع (سَتيدع) ، شِريان (شَريان) : طُرس (طِرس) : طِفت الارضَ (طُفت فيها) . أعطي (أُعطي) : لا تُلوي على امر (لا تلوي عليه) : عيشَ الطير (عُشه) .

باء الجر تتبع مرارًا افعالا متعدية : ظننتُ بان العلاء غنى — ترى الاطيارُ بانك فتنتها — اودّ بان يكون هواك لي .

الابتكار من اجمل حُلى انشاء نقولا ، حتى في الاوزان الشعرية . وقد رأى القراء ذلك في بعض ما ذكرناه من قصائده . في « زهرة الاحسان » نجد كل بيت مركباً من اربعة اجزاء متساوية الوزن ، والثلاثة الاولى ذات قافية واحدة ، وذلك من الصعوبة بمكان :

قد مرّ من عمري عشرون في الحجر ، ولم يزل فكري بذكرها نشوانْ .

في « الارض تخاطب الانسان » نلقى ابياتاً متتابعة على وزنين مختلفين :

وكيف أُصاب بالحرم ، ومن ذهب الضياء دمي ؟ ...
صحبتُ ذنوب الزمان ، فلم اجد مثل يومي وآفاته .

الابتكار في الخيالات اشد منه في الاوزان : اذ نجده في الغالب غير مرة في القصيدة ذاتها ؛ اليكم بعض الامثلة :

الثلج (بمعنى الشيب) في رأسي — دبيب النعاس في الاجفان — تدق في نعي المنى اجراسي — همزت جواد قريحتي — ماتت على اوتاره النغمات .

فتُطل روحك من سماء خلودها وتقول: «يا بُشراي! مُتُّ وعشتُ.»

كم من غنيّ مـــاله كالغيم محبوس المطرْ!

طورًا تحيّينا الجبال، وتارةً يقدومنا الوادي الخصيب برحّبُ.

نجد بجانب تلك الخيالات المبتكرة الطبيعية، خيالات اخرى اكثر منها متينة بالمبالغة والتصنع؛ نضرب عليها بعض الامثلة؛ وهي حنينة من كئيب:

وطني، لو شئتُ انكراكب تسجد — الآلة الحدباء تحمل فوقها بحرًا وبرًا — صنعتُ اعواد المنابر من دمي — حتى صافحتك الانجم — تنتثم الزُهرَ لنا — تحية. لو استطيع؛ لنظمتها بجُمان.

واصبح النسلد المنكوب في مرج كأنـــه يتمشى فوق بركانِ.

اتُراك لم يبلغك ان فضائلي تركت عباد الله لي عُبّادا؟

خلاصة رأينا في ديوان الدكتور نقولا فياض ان الدُرر في مواضيعه ومعانيه اكثر من اللؤلؤ البهرج الغادم القيمة. اما في انشائه فنرى ان الشوائب تساوي المحاسن بكثرتها. ومن ثم نعدّه في مقدمة شعراء جيلنا الساعين سعياً جديرًا بالثناء لترقية قريضنا وتجديده. مع كونهم بعيدين جدًا عن ذروة الجمال والكمال التي بلغها مئات من نوابغ شعراء ارقى بلاد العالم.